الفصل السادس

يحيى المشد

فما زلنا جسد واحد

وليذهب للجحيم من يعادينا

من يعادى قوميتنا العربية

من يعادى أمتنا التى لن تموت بفضل إيمان أهلها

فليذهب للجحيم وبأيدينا وبعقولنا وبفكرنا كل من تسول له نفسه أن يمس تراب أمتنا

كل من تسول له نفسه أن يمس أبناء أمتنا

كل من تسول له نفسه أن يمس تراث أمتنا

فليذهب للجحيم بأيدينا

وإن لم يكن اليوم فغدا، إن غدا لناظره قريب

يحيى المشد

يحيى المشد

أحد ضحايانا، وأحد شهدائنا

أحد ضحايانا، لأنه من واجبنا حماية علمنا وعلماؤنا، فإن لم نحمى علماؤنا، وأبناؤنا، وآباؤنا فنحن شركاء فى قتلهم. وأحد شهداؤنا، لأنه اغتيل على أيدى أعدائنا.

هو الدكتور «يحيى أمين المشد».

مولده:

فى يوم الإثنين الموافق ١١ يناير من عام ١٩٣٢، وفى مدينة بنها إحدى مدن دلتا مصر[٦٢]، ولد «يحيى المشد»، مثله فى ذلك مثل أى طفل مصرى، يولد ونتمنى له، ويتمنى له الجميع، حياه سعيدة، ولكن أخطر ببال أحد بأنه سيكون الدكتور «يحيى المشد»؟ أخطر ببال أحد بأنه سيكون شهيد الخير على يد الشر؟ والشر هنا لم يكن متمثلا فى الإله «ست»، ولكنه شر يحدق بالأمة العربية ويتربص بها، إنه شر مزدوج، وقتل مزدوج، فلم يتم اغتيال الدكتور «يحيى المشد» فقط، بل تم اغتيال البرنامج النووى العراقى أيضا، إنه الشر

62 http://hadayekelkoba.ahlamontada.net

فى أعلى صوره، اتحاد الشر لاغتيال أُمة، فبعد أن تحالفت كل من فرنسا وإنجلترا مع الكيان الصهيونى المغتصب فى عدوانه على مصر، اتحدت فرنسا مرة أخرى مع ذلك الكيان، ليغتالا معا البرنامج النووى العراقى، ليس فقط البرنامج النووى العراقى، بل تم وبصورة غامضة اغتيال العقل المحرك له، تم اغتيال الدكتور «يحيى المشد».

تعليمه:

انتقل «يحيى» ليتعلم فى مدينة طنطا المجاورة لمحل ولادته[٦٣]، انتقل لمدينة طنطا التى يعيش فيها خاله «على الخشانى»، وابنة خاله «زنوبة» التى ستصبح فيما بعد زوجة للدكتور «يحيى المشد»، فقد أتم «يحيى» تعليمه قبل الجامعى فى كنف ذلك الخال.

هندسة الإسكندرية

63 http://ar.wikipedia.org

ويكون «يحيى» بإتمامه المرحلة الثانوية قد تأهل للالتحاق بكلية الهندسة، فينتقل للإسكندرية، منارة العلم، ينتقل إلى العقار رقم ١١ شارع الجلاء بفيكتوريا، الإسكندرية، للالتحاق بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية، وتحديدا قسم كهرباء ليتخرج منها عام ١٩٥٢ بترتيب ثالث الدفعة[٦٤]، وهو ترتيب كاف لتأهيله لاستكمال دراسته العليا، وبالفعل فى خلال أربع سنوات كان قد أتم درجة الماجستير، واصبح مؤهلا للحصول على درجة الدكتوراه من خلال بعثه خارج البلاد، وبالتحديد فى جامعة كامبريدج بلندن، إنجلترا.

ولكن نظرا لظروف العدوان الثلاثى الغاشم على مصر، حيث اشتركت كل من فرنسا وانجلترا مع الكيان الصهيونى فى الاعتداء على مصر، فما كان من القيادة المصرية فى تلك الفترة متمثلة فى زعيم الأمة العربية «جمال عبد الناصر»، إلا أن تم إلغاء كافة التبادلات الطلابية بين مصر، وتلك الدول المعتدية، وعليه فقد «يحيى المشد» بعثته لإنجلترا، ولكنه لم يفقد فرصته لاستكمال درجة الدكتوراه، فقط حدث تغير فى مكان الدراسة، فقط تغيرت الجامعة التى سوف يستكمل فيها دراسته، فقد تغيرت وجهة البعثة من لندن، إنجلترا، إلى موسكو، الاتحاد السوفيتى[٦٥] (وقد كان مازال اتحادا).

64 http://www.alexu.edu.eg
65 http://mkalty.com

زواجه:

وكعادة المصريين فى الزواج المبكر، كعادة المصريين فى استكمال نصف الدين، فقد عقد «يحيى المشد» قرانه على ابنة خاله المقيم فى طنطا وهى فى السابعة عشر من عمرها[٦٦]، وكان هو فى الرابعة والعشرين تقريبا، ليسافر مباشرة إلى موسكو بدون إتمام مراسم الزواج أو حتى إقامة حفل للزواج، لتلحق به زوجته مسافرة بمفردها لمدة ستة ساعات فى طائرة تركبها للمرة الأولى، ولبلد تراه للمرة الأولى فى حياتها، ويتم الزواج الذى أثمر عن ثلاثة أبناء.

بعثة الدكتوراه:

تم سفر «يحيى المشد» إلى موسكو فى ١٩٥٦[٦٧]، ولم أجد أحداثا مميزه خلال فترة بقاءه فى الاتحاد السوفيتى، فجميعنا نعلم مدى الانغلاق الذى كان يتسم به الاتحاد السوفيتى فى هذه الفترة من الحرب الباردة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنه عاد حاصلا على لقب دكتور «يحيى المشد».

العودة للوطن الأم:

لم تكن التكنولوجيا الوليدة بعيدة المنال عن ذهن زعيم مثل «جمال عبد الناصر»، فقد فكر فى إنشاء مفاعل نووى فى مصر، وبالتحديد فى منطقة أنشاص، وقد يكون اختيار

66 www.alhiwar.net

٦٧ مدونة مجلة العلوم العربية

المكان لقربه النسبى من القاهرة، وبعده الاستراتيجى عن العدو الصهيونى، وبالطبع فكان من المناسب أن يتم تعيين الدكتور «يحيى المشد» للعمل فى المفاعل النووى المصرى بأنشاص، فهو العالم العائد من الاتحاد السوفيتى، بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى تخصص الفيزياء الذرية، وبالطبع فهو الأنسب لبناء مثل هذا المفاعل النووى، هو الأنسب لبدء حقبة جديدة فى مصر من التطور العلمى النووى، ليستمر عمله فى الفترة من ١٩٦٠ وحتى بدايات ١٩٦٢، حيث تلقى عرضا من النرويج[٦٨].

السفر إلى النرويج:

تلقى دكتور «المشد» عرضاً من النرويج لتدريس علوم الذرة هناك، واستكمال أبحاثه الخاصة بالفيزياء النووية، كما يقال أيضا أنه تلقى عرضا لمنحه الجنسية النرويجية ولكنه رفض، ولا أريد أن أقلل من شأن الدكتور «المشد» بصياغتى هذه، ولكن ليس لدى ما يؤكد مثل هذا العرض للحصول على الجنسية، وإن كان قد تم فهل سيكون من دولة النرويج التى طالما كان إعلامها موجها لخدمة الصهيونية[٦٩]؟ ولا أريد التشكيك فى نوايا النرويج، ولكن لماذا يتم العرض على الدكتور «المشد»؟ لماذا يعرض عليه التدريس فى جامعات النرويج؟ تلك الدولة التى طالما تغنت بخدمة الصهيونية فى ذلك الوقت،

68 http://www.alhiwar.net
69 http://kenanaonline.com

هل العرض لإبعاد الدكتور «المشد» عن العمل فى المفاعل النووى المصرى؟ هل العرض كان بغرض القضاء على الارتقاء النووى فى مصر من خلال إبعاد العقل المحرك له؟ أم أن العرض لعبقرية عقلية «المشد»؟ التى لا يمكن الاستغناء عنها حتى وإن كان معاديا للصهيونية.

وكفيزيائى، لم يمر من خاطره مرورا، تركيز الإعلام النرويجى على خدمة الصهيونية العالمية، وتجاهل حقوق العرب، وتجاهل حق الشعب الفلسطينى فى استرداد موطنه، فما أن كانت إحدى الندوات المفتوحة والتى دعى الدكتور «المشد» لإلقاء كلمة فيها، إلا أنه فاجأ الحضور بالإشارة إلى حقوق العرب والفلسطينيين، مما أثار إعجاب كثيرا من الحاضرين وأغضب بعضهم، حتى قيل إن تلك الكلمة كانت السبب فى ملاحقته بشكل مستمر فيما بعد[٧٠]، وتقتصر بعثته فى النرويج على الفترة ما بين ١٩٦٢، ١٩٦٣ ليعود إلى مصر أستاذا فى كلية الهندسة، جامعة الإسكندرية.

عودة ثانية إلى مصر:

عاد الدكتور «المشد» إلى مصر، وقام بالتدريس والبحث فى جامعة الإسكندرية، ولا أدرى لماذا أغفل التاريخ هذه الحلقة المفقودة؟ فلم لم يعود «المشد» إلى عملة فى المفاعل النووى بأنشاص؟ هل تخلت مصر عن برنامجها النووى؟ هل تخلت

70 http://forum.brg8.com

مصر عن ركب التطور التكنولوجى؟، لكن بمقارنة التواريخ، ومقارنة الأحداث، نجد أن تحولا حدث فى فكرة مفاعل أنشاص، حيث أصبح الحديث عن مفاعل نووى لتوليد الطاقة الكهربية، إضافة إلى تحلية مياه البحر[٧١]، تحول مفاجئ وغريب، تحلية مياه البحر فى بلد النيل، أطول أنهار العالم[٧٢]، فى وقت لم تكن فيه حرب المياه قد خطرت على بال أحد، وفى وقت كانت الطاقة النووية فى أوجها، تتبارى كل الدول فى إنتاجها، بل والتسلح بها، الغريب أن الحديث أصبح يدور عن مكان رئيسى للمفاعل النووى وهو سيدى كرير، وما أنشاص إلا مكان بديل، يتساوى مع عدد من البدائل مثل مديرية التحرير، والجدير بالذكر أن الشركة التى رسى عليها عطاء العمل فى المفاعل النووى كانت شركة أمريكية، فهل من معنى لكل هذا؟

وهنا يجدر الإشارة بالذكر إلى أنه يمكن القضاء على أى ارتقاء علمى من خلال المشاركة الوهمية، أو من خلال المساعدات الوهمية، والوهم هنا ليس هو الإخلال بما وعدت به من مساعدات، بل على العكس تماما، فالمساعدات المالية ستصل، بل وقد تزداد عما تم الاتفاق عليه، ولكن كيف تكون تلك المساعدات وهمية؟ تقوم دولة ما بتقديم عرض سخى بمساعدات لا يمكن رفضها، حتى يسيل لعاب الدولة النامية، والتى بدورها يتوقف كل تحرك فيها أملا فى هذه المساعدات

71 http://elshaab.org

٧٢ يوجد خلاف حول ما إذا كان نهر النيل أم نهر الأمازون هو أطول أنهار العالم، وذلك لصعوبة تحديد نقطة بداية النهر، ففى حالة نهر الأمازون يمكن اعتبار المصدر الجليدى منبعا ممتدا مما يضفى عليه طولا إضافيا.

التى تكون عبارة عن مساعدات وهمية، وكما أوضحنا فلا أعنى بالوهمية هنا بأنها لن تصل إلى الدولة الممنوحة، ولكنها تصل، ولكن بهدف توقف الفكر المحرك النامى لتلك الدول الممنوحة، فتعتمد على الدولة المانحة، التى تكون قد اشترت جهل الدولة الممنوحة بحفنة من الدولارات، لتصبح المساعدات والمنح فى حقيقه أمرها، ما هى إلا ثمنا لاستمرارية جهل الدول النامية، ثمنا لاستمرارية احتياج الدول النامية إلى الدول المانحة، وهو ما يضمن استمرار الولاء.

أستاذ الجامعة:

ويستمر الدكتور «المشد» كأستاذ فى كلية الهندسة جامعة الإسكندرية، منذ عودته من النرويج وحتى حرب أكتوبر، مرورا بنكسة ١٩٦٧، أستاذا غير متفرغ، لينشغل فى الإشراف على العديد من الرسائل، ونشر ما يربو على الخمسين بحثا[٧٣]، فهل كان الأمر مقصودا؟ هل كانت هناك توجهات خفية لإبعاد عقلية الدكتور «المشد» عن النشاط النووى؟ فيما يؤخر مصر عن برنامجها النووى، خاصة وأن كلا من حرب ٦٧، وحرب ٧٣ كان موعدهما متوقع، فالأولى بدأها الكيان الصهيونى، وبالطبع فالإعداد لها إستراتيجيا، كان يستدعى توقف البرنامج النووى المصرى، سواء من خلال إبعاد الدكتور «المشد»، أو من خلال ترسية العطاء على شركة أمريكية، لم نراها تقم بأداء أى من الأعمال المطلوبة منها حتى الآن، حتى الآن بعد مرور

73 www.mawhopon.net

ما يزيد على نصف قرن، هل قدمت الشركة عرضا مجزيا ليتم رسو العطاء عليها، حتى تضمن دولا بعينها عدم دخول مصر إلى النادى النووى، هذا إضافة إلى أن حرب ٧٣ كانت شبه معلنة الموعد، وإن لم يكن الموعد معلنا بدقة، ولكن كان الجميع يترقب كلمات قائد الأمة، محمد أنور السادات، عندما ردد دائما إن سنة ٧١ ستكون سنة حاسمة[٧٤]، تلاها سنة ٧٢، ثم تلاها سنة ٧٣ فكان العالم أجمع يترقب الحسم باعتباره وبكل تأكيد حربا على الكيان الصهيونى، وقد كان، فهل تم إجهاض البرنامج النووى المصرى، من خلال انشغال الدكتور «المشد» فى التدريس، وفى مناقشة الرسائل العلمية والإشراف عليها، وإعداد بحوثه الخاصة؟

مفاعل أنشاص

٧٤ خطاب الرئيس محمد أنور السادات أثناء لقائه بضباط القوات البحرية بأبو قير الإسكندرية فى ٢٣ يونيه ١٩٧١

وهنا يجب التنويه إلى أن الصراع الدبلوماسى ليس بالأساس صراعا دمويا، بل قد يكون صراعا واغتيالا من خلال منح دراسية، فنجد دولة كالنرويج تدعم الصهيونية العالمية، إلا أنها تتفضل بدعوة عالم مصرى، يعد فى مصاف العلماء المناهضين للصهيونية، يتم دعوته ومنحه المنح الدراسية، فى ظاهرة تبدوا وكأنها ارتقاء علمى، ولكن قد يكون فى باطنها بعد عالما مثل «المشد» عن العمل فى برنامج نووى مصرى، ترفضه الصهيونية، ليعود «المشد» مرة أخرى إلى مصر، ولكن ليس للعمل فى مفاعل أنشاص، ليس للعمل فى البرنامج النووى المصرى، ولكن للعمل كأستاذ جامعة فى كلية الهندسة جامعة الإسكندرية.

إعادة ترتيب قائمة أعداء الكيان الصهيونى:

بعد حرب ٧٣ التى قد يبدو من نتائجها أنه قد تم تغير موقف مصر من العداء ضد الصهيونية، أو على الأقل تراجع ترتيب مصر فى قائمة أعداء الصهيونية، فبعد أن كانت تعد العدو رقم واحد، أصبح بينها وبين الكيان الصهيونى معاهدات سلام، وليس هنا مجالا لمناقشة مدى المكسب أو الخسارة التى لاقته مصر من هذه المعاهدة، ولكن ما يهمنى ذكره حتى لا تضيع الأحداث، أن الخلاف العربى العربى، بين الأمة العربية، ورأسها المفكر مصر، هذا الخلاف وإن كان له العديد من العيوب، إلا أنه دفع العديد من الدول العربية الأخرى للنمو.

وكان من مقدمتها بالطبع، ذلك الزعيم الذى لا يضاهى، صدام حسين[٧٥]، فقد كان أحمد حسن البكر هو رئيس مجلس قيادة الثورة فى العراق، بينما كان صدام حسين نائبا له، وفى نفس الوقت هو الرجل القوى فى المجلس، وطموحه الوطنى، وعروبته وثوريته، دعته إلى إعداد العدة والتسلح بشتى أنواع التكنولوجيا الحديثة فى استعداد ليس له مثيل لنبقى الأقوى، وتبقى كلمة العرب هى العليا.

وكان صدام قد أعلن عن قرب امتلاك العراق لقنبلة نووية مصنعة بأيدى عربية[٧٦]، فى إشارة إلى نواياه فى إقامة مفاعل نووى عراقى، من خلال ذلك التعاون بين العراق وفرنسا، وبالطبع من خلال عقلية فذة مثل عقلية الدكتور «المشد»، العربى الوطنى المتخصص فى المجال النووى، وكان الاسم الكودى لقلبى المفاعل هو «إيزيس» و«أوزوريس» أما الاسم الكودى لليورانيوم، وهو المادة الخام اللازمة للمفاعلات النووية فكان «الكعك الأصفر»[٧٧].

وعليه كانت دعوة العراق للدكتور «المشد» لزيارة العراق بهدف حضور مؤتمرا علميا ببغداد، ليتم اختيار «المشد» كأستاذا فى جامعة بغداد، وفى منتصف إعارة «المشد» لجامعة بغداد يقوم صدام حسين فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٥، باتفاق التعاون النووى بين العراق وفرنسا، حيث كان جاك شيراك فى ذلك

٧٥ صدام حسين عبد المجيد التكريتى (٢٨ أبريل ١٩٣٧ - ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦)

76 www.iraqsnuclearmirage.com

77 www.sdhnews.com

الوقت رئيسا لوزراء فرنسا[٧٨]، وبالطبع فلن يكون هناك تفكيرا فى التنازل عن عقلية «المشد» النووية، وبالفعل ما أن انتهت فترة الإعارة المحددة بأربع سنوات، إلا أنه تم الاتفاق مع «المشد» على العمل فى مؤسسة الطاقة الذرية العراقية، إضافة إلى التدريس جزئيا فى كلية التكنولوجيا بالعراق الواعد الصاعد الحبيب.

دور الكيان الصهيونى:

ولم يكن الكيان الصهيونى غامض الأعين عن تنامى العلاقة بين العراق وفرنسا فى مجال تطوير وتحديث التكنولوجيا النووية، ففى عام ١٩٧٦ م سافر رئيس وزراء فرنسا إلى العراق لرد زيارة صدام حسين[٧٩]، وكان التطور العلمى فى مجال الطاقة النووية قد توصل إلى استحدثت أنظمة طرد مركزى لاستخلاص اليورانيوم ٢٣٥ بنسبة تخصيب تصل إلى ٩٣٪ ما يغنى عن الحاجة إلى بناء المفاعلات الضخمة لإنتاج وتركيز البولوتنيوم ٢٣٩.

وبالطبع فقد اتجهت العراق إلى النظام الجديد بالتعاون مع الجانب الفرنسى، ولهذا كان الدكتور «يحيى المشد» فى زيارات دائمة لفرنسا.

78 http://ar.wikipedia.org
79 www.inewsarabia.com

ولكن فى الرابع من أبريل ١٩٧٩، وبعد التحاق الدكتور «المشد» بهيئة الطاقة النووية العراقية، توجه إلى طولون بجنوب فرنسا فريق مكون من ثلاثة أفراد قادما من باريس فى رحلة طيران داخلية، وتوجهوا إلى محطة القطار حيث استأجروا سيارة رينو قادوها إلى فيلا قريبة، حيث كان ينتظرهم أربعة آخرون من عملاء جهاز الموساد التابع للكيان الصهيونى، وحسب مصادر الأمن الفرنسية اجتمعوا للقيام بعمل ما(٨٠).

توجه الفريق فى اليوم التالى مباشرة إلى ميناء صغير غربى طولون يدعى لاسيستو جيير فى جولة استطلاعية حيث كان يقبع فى هذه المنطقة قلبى المفاعلات النووية العراقية «إيزيس وأوزوريس»، مخزنة فى مخزن عسكرى فرنسى لتجهيزها وشحنها إلى العراق.

توجه الفريق بخطتين الأولى لسرقة قلبى المفاعلات إلا أنها فشلت، فتم تنفيذ الخطة البديلة، حيث تم تفجير «إيزيس وأوزوريس»، وهو الاسم الكودى لقلبى المفاعل العراقى، ولاذ الإرهابيون بالفرار.

قلبى مفاعل نووى، إن امتلكهما أى جانب إرهابى، لأرهب بهما العالم، وما المافيا الإيطالية ببعيدة عن المكان، وما حركة إيتا الانفصالية بعاجزة عن الوصول إلى هذا الميناء، فهل ترك قلبى مفاعلا نوويا فى مخزن عسكرى بلا حراسة، بلا حراسة

مشددة حرصا على فرنسا نفسها قبل أن يكون حرصا على المفاعل النووى، أم أن الحراسة كانت موجودة، ولكنها كانت موجودة لحماية قلبى المفاعل من جماعات، وتسليمه لأخرى، ثم تعتذر فرنسا، وتعرض التعويض.

لم يكن قرار الرئيس الفرنسى باستعاضة الخسارة من خلال إنتاج وقود نووى يصدر للعراق بقرارا يقبله كل من صدام حسين أو «يحيى المشد»، فاليورانيوم المخصب بنسبة ٧٪ فقط عاجزا عن إنتاج القنبلة الذرية التى يأمل فيها صدام، عاجزا عن محاكاة العرب للكيان الصهيونى نوويا.

فتمسك العراق بحقه فى ضرورة تنفيذ بنود الاتفاق الموقع من قبل بين الطرفين، وضرورة أن تستلم العراق قلبى مفاعلها النووى، ولكنهما قد تم تفجيرهما من قبل موساد الكيان الصهيونى.

وهنا جاء دور عالمنا القدير الدكتور «يحيى المشد» حيث كان المسئول عن استلام قلبى المفاعلات من الجانب الفرنسى بتفويض من الحكومة العراقية.

أكانت مصادفة أن يكون الاسم السرى لقلب المفاعل النووى العراقى، هو اسم إله الخير فى مصر، «أوزوريس»، أكانت مصادفة أن يقوم بإصلاح قلب المفاعل أحد أبناء مصر، أو بالأحرى أحد أبناء «أوزوريس»، ويتم الإصلاح فيما يدنو من ستة اشهر فقط، ما نرتشف عبيره هنا، ليس فقط

مدى العبقرية التى تميز بها الدكتور «المشد»، بل أيضا كم الوطنية العربية لدى الزعيم صدام حسين، فالعراق ومصر لا يفترقان، وطنا، وأخوة، والأكثر من ذلك، لا يفترقان علما على مدى التاريخ، ولنا فى إسهام العراق لتظهر مكتبة الإسكندرية للوجود دليل، فقد كان لصدام العراق، أكبر نصيب من المشاركة المادية لإعادة ولادة مارد العلم العربى «مكتبة الإسكندرية»[٨١].

ما كانت إعارة «المشد» للعراق إلا تفسيرا للسياسة فائقة الذكاء بين كل من العدوان ظاهريا، الأخوان وطنيا وقوميا، السادات وصدام، فدور مصر الآن هو الحرب المكتبية من خلال المفاوضات والدبلوماسية الدولية، أما دور العراق، فهو الاستعداد العسكرى، فما زلنا جسد واحد، وليذهب للجحيم من يعادينا، من يعادى قوميتنا العربية، من يعادى أمتنا التى لن تموت بفضل إيمان أهلها. فليذهب للجحيم وبأيدينا وبعقولنا وبفكرنا كل من تسول له نفسه أن يمس تراب أمتنا، كل من تسول له نفسه أن يمس أبناء أمتنا، كل من تسول له نفسه أن يمس تراث أمتنا. فليذهب للجحيم بأيدينا، وإن لم يكن اليوم فغدا، إن غدا لناظره قريب.

فبعد حرب ٧٣، كانت مصر قد استنفذت الكثير من مواردها، سواء خلال الحرب، أو خلال الاستعداد للحرب فيما سمى فترة الاستنزاف، وعليه فقد رأى أنور السادات، أن تكون الأولوية للبنية الأساسية للدولة التى كانت قد أهملت لفترات

81 www.albasrah.net

طويلة، البنية الأساسية التى تؤثر تأثيرا مباشرا على المواطن المصرى وحياته اليومية، يواكب ذلك فى الاهتمام، بناء القوات المسلحة التى استنزف منها ما استنزف خلال الحرب، فكان على المشروعات العملاقة الانتظار، فكان على مشروع مثل المشروع النووى المصرى الانتظار، ولكن هل الانتظار يكون للمشروع النووى العربى، أم المشروع النووى المصرى فقط، وهنا كان الانتقال إلى المشروع النووى العراقى، بأيدى الخبراء المصريين وبعقول المصريين، فلينتقل الدكتور «يحيى المشد» إلى العراق[٨٢].

جريمة مفاعل العراق

٨٢ محمد ناجى، أستاذ بقسم الهندسة النووية، كلية الهندسة، جامعة الإسكندرية.

الدكتور «يحيى المشد» هو من قام بإصلاح المفاعل بنجاح، بل أشرف أيضاً على عملية نقله من المخازن الفرنسية إلى بغداد، ليصبح الدكتور «المشد» بعد ذلك المتحدث الرسمى باسم البرنامج النووى العراقى[٨٣]، مرة أخرى لتصبح مصر المتحدث الرسمى للعراق، أو المتحدث الرسمى للعرب، فما العراق ومصر إلا توأمتان لجسد عربى واحد.

لتعلن الأمة العربية، أنه ما أن خبى ضوء البرنامج النووى المصرى، إلا أن بزغ وهج البرنامج النووى العراقى، وأيضا بأيدى مصرية، الدكتور «المشد» يصبح رئيسا للبرنامج النووى العراقى، وكان أول وأهم إنجازاته هو تسهيل مهمة العراق فى الحصول على اليورانيوم المخصب من فرنسا.

صديق أم عدو:

سيظل العرب أصدقاءاً للغرب، بشرط أن يظل العرب فى حاجة إلى الغرب، ولكن ما أن يخرج المارد العربى، وخروجه لن يكون إلا علما، وعملا، فإن خرج سوف يزلزل العالم، وهذا ما يرفضه الآخر، فمصر اليوم قد طالت يدها ما طالت، ونال قادتها ما نالوه بقوة السلاح العسكرى، أو بقوة التفاوض الدبلوماسى، فهل يسكت العالم لنمو تلك الأمة، مصر من جانب، والعراق من جانب، إنه التهديد، تهديد ناجم من منبع المواد الخام العالمية، تهديد ناجم من أمة إن أفاقت سيطرت،

83 www.safsaf.org

وإن نمت حكمت، وإن قامت لن يقوى العالم مجتمع على دفعها للوراء، لذا، كان من الأهم أن يوعد الوليد فى بطن أمه، لن يكتمل البرنامج النووى العراقى، ولكن كيف؟

كان مندوب البرنامج فى العراق يتسلم هذا اليورانيوم ويبلغ «المشد» بما تسلمه، وفى إحدى المرات اتصل مندوب البرنامج بالدكتور «المشد» وأخبره بأنه تسلم صنفاً مختلفاً عما هو موجود فى الكشف[٨٤]، وقام الدكتور «المشد» بالاتصال بالمسؤولين الفرنسيين فى البرنامج النووى وأخبرهم بذلك الخطأ، فردوا عليه بعد ثلاثة أيام وقالوا له: «لقد جهزنا الكمية والصنف الذى تطلبه» وأكدوا عليه بالحضور لفحص ذلك ووضع الشمع الأحمر على الشحنات بعد التأكد من صلاحيتها.

اغتيال «المشد»:

وفى يوم الجمعة الموافق الثالث عشر من يونيو عام ١٩٨٠، وفى حجرة رقم ٩٤١ بفندق الميريديان بباريس، عُثر على الدكتور «يحيى المشد» جثة هامدة مهشمة الرأس، وقُيدتْ القضية ضد مجهول[٨٥]، ولم يكتف بهذا الحد، بل إنه فى ضاحية «سان ميشيل» بعدها بأقل من شهر، كانت أهم شاهدة فى القضية العاهرة مارى كلود ماجال، المعروفة بمارى إكسبريس تغادر أحد بارات باريس الرخيصة، وقد بدا لمن يراها فى الشارع أنها مخمورة، منظر مألوف فى هذه الضاحية بعد

84 www.alriyadh.com
85 www.elbehira.net

منتصف الليل، لكن غير المألوف أنها وأثناء عبورها الشارع تدهسها سيارة مجهولة، ولم يعثر على هذه السيارة حتى اليوم، مرة أخرى قيدت القضية ضد مجهول[٨٦].

أول ما نسبوه لمقتل «المشد» أن الموساد استطاع اغتياله عن طريق عاهرة فرنسية، إلا أنه ثبت عدم صحة هذا الكلام؛ حيث أن «مارى كلود ماجال» أو «مارى إكسبريس» – الشاهدة الوحيدة – والتى كانت تريد أن تقضى معه سهرة ممتعة، أكدت فى شهادتها أنه رفض تماماً مجرد التحدث معها، وأنها ظلت تقف أمام غرفته لعله يغيّر رأيه، حتى سمعت ضجة بالحجرة، ثم اغتيلت أيضاً هذه الشاهدة الوحيدة.

وفى رواية أحد طلبة الدكتور «المشد» قال:

واحب أن أوضح ما حدث فى ذلك الاغتيال اللعين، حيث كان من المفترض أن يكون جميع أعضاء الوفد المرافق للمرحوم فى نفس الجناح فى الفندق المخصص للوفد، ولكن فى تلك الرحلة تم فصل دكتور المشد عن باقى أعضاء الوفد، وتوفير جناح خاص له، بحجة تقدير مكانته ومنزلته ضمن الوفد[٨٧]، وبهذا تم الانفراد به وعزله عن زملائه، وكان حادث القتل مخطط له حيث كان اليوم الأخير للوفد، حيث ذهب المرحوم للتسوق، وعند رجوعه لغرفته تم اغتياله ويقال إن القاتل امرأة وقتل بالضرب على رأسه بقضيب من الصلب.

86 www.masrawy.com
87 www.alriyadh.com

كما قيل أيضا:

أن هناك شخصاً ما استطاع الدخول إلى حجرته بالفندق وانتظره حتى يأتى، ثم قتله عن طريق ضربه على رأسه، وإذا كان بعض الصحفيين اليهود قد دافعوا عن الموساد قائلين: «إن جهاز الموساد لا يستخدم مثل هذه الأساليب فى القتل»[٨٨]، ولكن لماذا لا يكون هذا الأسلوب اتّبِع لكى تبتعد الشبهات عن الموساد؟

ودليل ذلك أن المفاعل العراقى تم تفجيره بعد شهرين من مقتل الدكتور «المشد»، والغريب أيضاً والمثير للشكوك أن الفرنسيين صمّموا على أن يأتى «المشد» بنفسه ليتسلم شحنة اليورانيوم، رغم أن هذا عمل يقوم به أى مهندس عادى، هذا ما قاله المشد بناء على رواية زوجته، إلا أنهم أكدوا له أن سفره له أهمية كبرى.

لم ينجح الكيان الصهيونى فى القضاء على المفاعل النووى العراقى من خلال تفجيره فى فرنسا قبل وصوله إلى العراق بسبب وجود عقلية المشد، وعليه فالقضاء على المفاعل النووى العراقى يعنى القضاء على المشد أولا.

88 www.storie.3rbroom.com

وفى رواية جريدة الراية الإلكترونية[٨٩]:

راحت الحاجة زنوبة، تحضر لنا حقيبة «المشد» – التى ما زالت بها آثار دمائه – لنُشاهد ذكرياته مع أسرته، ونكتشف أسرار حقيقة اللحظات الأخيرة فى حياته من خلال أوراق مهمته الأخيرة فى باريس.

وضمّت الحقيبة «جوازات» سفر «المشد» المتعدّدة، والتى كان أحدها يُوضّح أنه أصبح مستقيلاً من العمل بجامعة الإسكندرية، وصوراً نادرة له، من بينها صورته مع الرئيس «جمال عبد الناصر» أثناء زيارة كل من «عبد الناصر» و«عبد الحكيم عامر» لمفاعل أنشاص، وأيضاً الأمر الإدارى الصادر من منظمة الطاقة الذرية العراقية بإيفاده وعدد من زملائه إلى فرنسا بتاريخ ٢ يونيو ١٩٨٠، وأمراً آخر بمد فترة إيفاده إلى يوم ١٢ يونيو ١٩٨٠، كما احتوت على «كارت» بيانات إقامته فى الغرفة رقم ٩٤١ التى اغتيل فيها بفندق المريديان بباريس، وخطاب ملطخ بدمائه، مزيّلاً بتوقيع من شخص يُدعى الدكتور «صباح» يُخبره فيه بموعد وجوده فى فندق «امبريلا» القريب من فندق المريديان، بالإضافة إلى الأجندة الخاصة به التى تحتوى على ملاحظات تكشف عن مدى تعنّت الجانب الفرنسى معه فى إجراء التجارب التى كان يطلبها لصالح المفاعل النووى العراقى، ومنها إشكالية إجراء بعض التجارب التى جرت فى أحد المفاعلات الفرنسية على

89 www.raya.com

اليورانيوم، يوم الجمعة ٦ مايو ١٩٨٠، بعد ما لم تتحقق النتائج المطلوبة، حيث تُوضّح المذكرات أن التجارب جرت بناء على طلب دكتور بهاء شمس، وأن «المشد» أوضح نقصها لبعض المواصفات المطلوبة، فاعترف الجانب الفرنسى بما أوضحه «المشد»، لكنه أخبره أن التجارب المطلوبة يستحيل تنفيذها، فرد عليه «المشد» بأنه لن ينقل لبغداد إلا ما يريده بالفعل، ثم اتفق على إجراء تجارب أخرى فى موعد لاحق.

ومن الجدير بالذكر أن جامعة الإسكندرية قد أقالت الدكتور «المشد»، لرفضها مد مدة إعارته للعراق سنة إضافية فوق أربع سنوات الإعارة، وذلك طبقا لما ورد عن زوجته فى حديثها[٩٠].

ومن مدونة عراقية:

باعتراف مسؤول شعبة القتل فى الموساد، زار احد أفراد الموساد العالم المصرى فى غرفته فى الفندق وحاول إغراءه، والدخول من باب أننا أولاد عم – أى العرب واليهود – ليفتح له باب المغريات المادية والأرقام الخيالية التى تنتظره إذا ترك الحلم العراقى.

(امشى يا كلب انت واللى باعتينك)[٩١]

هكذا قالها الدكتور «المشد».

٩٠ أبو السعود محمد: جريدة الراية، القاهرة، مصر.

91 www.aljazeera.net

وبعد اقل من نصف ساعه قتل الشهيد «يحيى المشد» فى إطار كان يُعتقد فى البدء انه مستوفى شروط الجريمة العاطفية الكاملة، حيث صعدت معه عاهره فى مصعد الفندق، تحرّشت به فطردها[٩٢]، وكان هناك من ينتظره بالغرفة، وضربه بآله حادة على راسه، حتى لا تبدو الجريمة جريمة محترفين، بل غيرة عاطفيه قام فيها بالقتل عشيق أو زوج، فما من عاهرة ترغب فى رجل إلا بمقابل مادى، أو بناء على الحصول على مبلغ مالى من أى جهة أيا كانت، ، كما وضع على باب الغرفة لوحة ممنوع الإزعاج، وحين زادت المدة القانونية لبقاء اللوحة، تفتح الغرفة وتكتشف الجريمة ورغم هذا لم تعلم الشرطة الفرنسية عن الجريمة إلا بعد أربعة أيام، وبعد أقل من شهر كانت العاهرة الفرنسية التى حاولت إغراء الدكتور «المشد» فى مصعد الفندق، وهى أهم شاهد فى القضية تعبر الشارع فدهستها سيارة مجهولة وقيدت القضية ضد مجهول.

ونتساءل أكان عزل الدكتور المشد فى غرفة مستقلة تكريما أم إعدادا لجريمة؟

الفيلم الأمريكى:

اعترف الكيان الصهيونى والولايات المتحدة باغتيال العالم المصرى «يحيى المشد»، من خلال فيلم تسجيلى مدته ٤٥ دقيقة، عرضته قناة «ديسكفرى» الوثائقية الأمريكية تحت

92 www.aljazeera.net

عنوان «غارة على المفاعل»، وتم تصويره بالتعاون مع جيش الكيان الصهيونى.

يتناول الفيلم تفاصيل ضرب المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١، وفى هذا السياق كان لابد للفيلم من التعرض لعملية اغتيال «يحيى المشد» فى الدقيقة ١٢:٢٣، باعتبارها «خطوة تأمينية ضرورية لضمان القضاء الكامل على المشروع النووى العراقى»[٩٣].

وبغض النظر عما قيل فى مقتل دكتور «المشد»، فما أحب أن أذكره هنا أنه تم إلقاء التهمة على الكيان الصهيونى، وأنا لا أدافع عن مثل ذاك الكيان، ولكن أرى أن فرنسا هى جانب ضليع فى تلك المأساة حتى وإن كانت قد تمت بأيدى صهيونية، ففرنسا لها من اللوم جانب ليس بالصغير، فكما نرى من الروايات السابقة، أن تعنت فرنسا لم يكن مقبولا فيما أدى إلى إطالة المدة الزمنية التى بقى فيها «المشد» فى فرنسا بالرغم من إعداده للعودة إلى العراق أو مصر، فهذه الإطالة قد تكون مسببه، كما أن عالما مثل «المشد» كان يليق به أن يلقى حماية من الدولة المضيفة، فما بالنا بعالم فى مهمة سرية لاستلام قلبى مفاعل نووى، أو يورانيوم مشع، فقد كان من الأحرى أن تكون له كافة سبل الحماية، ثم إن التحقيقات، التى أدت إلى حفظ القضية واعتبارها ضد مجهول، أكانت القضية بهذه البساطة لتحفظ، كما أن شاهدة مثل مارى إكسبريس هى

93 http://ar.wikipedia.org

الأخرى كان من الأجدى أن تنال حماية كافية للتمكن من أخذ أقوالها مرارا ومرارا كما هو العادة فى حوادث القتل، فهل ساهمت فرنسا فى عملية الاغتيال؟

لم يمض ستة أشهر حتى مرت طائرات الكيان الصهيونى العسكرية من طراز إف ١٦ أمريكية الصنع، فى الأجواء الأردنية ثم الأجواء السعودية وقد كان يحميهما سلاح دفاع جوى، أمريكى الصنع، لتصل الطائرات إلى المفاعل النووى العراقى وتدمره ثم تعود إلى الأراضى الفلسطينية المحتلة، ليس فقط دون أن يتم اعتراضها، بل بدون اكتشافها من قبل الدفاع الجوى السعودى أو الأردنى[٩٤] الأمريكى الصنع.

لم ينجح أعداء الأمة فى اغتيال هذا العالم الكبير فقط بل فى القضاء على البرنامج النووى المصرى، والبرنامج النووى العراقى، وأى برنامج نووى فى العالم العربى، أما الهدف الأساسى لذلك فهو أن يكون الكيان الصهيونى هو صاحب التفوق العسكرى فى الشرق الأوسط.

ولكن..... إلى حين.

٩٤ موقع بى بى سى العربية.